# أقدم ما كُتب في اوروبا عن سعود

**الحاج « سيتزن » ، وحديث سعود معه :**

الاوروبيان الوحيدان اللذان استطاعا رؤية الإمام سعود في مكة هما : علي بك العباسي ، وقد نقلنـــا في فصل سابق بعض ما قاله في وصف سعود أثناء دخوله مكة على رأس رجاله وجيوشه ..

.. وسيتزن ، الذي اعتنق الإسلام وحجّ عام ١٨١٠ م . — ١٢٢٥ هـ .

وقد نُشرت مجلة « حوليات الرحلات والجغرافيا والتاريخ » عام ١٨١٣ م . نقلاً عن رسائل ( زاخ ) ، شيئاً مما كتبه سيتزن عن مشاهداته في مكة والمدينة ، نأخذ منه ما يأتي ، ولولا قدمه لم يكن ليستحق العناية :

( يحيط بالمدينة المنورة سور وتُعـدّ في نظر العرب مدينة حصينة ، ويتولى أمرها حاكم وهابي ، وفيها حامية وهابية .

وقد مُنع الناس من الاقتراب من الضريح النبوي والتعلق به وتلمسه بالأيدي — لطلب الشفاعة — وليس فيه نفائس وأحجار كريمة وتحف ونحوها ، لأن سعود أخذ ذلك كله إلى الدرعية ..

ويبدو من شكل حجارة المدينـة أنها كانت قديماً موضعاً لبراكين تتفجر ، وقد استمر هذا التفجر إلى أوائل العهد الإسلامي ، لأنني وجدت في كتاب عربي إشارة إلى انفجار بركاني وُصِف بأنه اشتعال نار كبيرة ، وذلك عام ١٩ للهجرة ، في عهد عمر بن الخطاب ، فأمر عمر بتوزيع الصدقات ...

وقـــد طلبني الأمير مرة ، وسألني عما أعمــله ولماذا أشتري عدداً كبيراً من الكتب ؟

فأجبته – وكنت علمت أنه يظنني تركياً – أو كما يقولون رومياً – فارتاب بأمري :

– أنا من بلاد فرنسا .

فلما سمع ذلك ارتاح إليّ وتركني وشأني .

وهكذا استطعت أن أرسم خريطة للمدينة وأن أرسم كذلك صورة للضريح النبوي ..

وفي ١٨ يناير عدتُ إلى مكة ، فوجدت فيها الإمام سعود ، وكان ذلك في أعقاب موسم الحج ، وكان سعود قد صحبه في حجته عدد ضخم جداً من الحاج النجدي وكان معه كذلك أكثر من مائتي حاج من العجم ..

رأيت الإمام سعود بعينيّ .. ولم تكن ملابسه فاخرة متميزة وإنمـــا كانت بسيطة ..

وقال لي أحد العـــارفين به انه على حظ كبير من الذكاء ، و « طبيعي » غير معقد ..

## رأي فيلبي في سعود :

يقول فيلبي في كتابه « العربية السعودية » :

( كان الغزو التركي يتدلى كالسحابة الدكناء فوق الأيام الأخيرة لرجل لم يعرف الأمن والدعة طوال نصف قرن قضاه في جهد وجهاد موصولين ، ابتغاء وجه الله ثم نصراً للدعوة الوهابية .

وقد لحق سعود بأجداده في أول مايو سنة ١٨١٤ م . ، تاركاً لابنه عبد الله مهمة الدفــاع عن الدولة والدعوة ، اللتين عمل هو أكثر من كل إنسان آخر على خدمتها وبسط آفاقها فتجاوزتا الحدود التي كان يحلم بها المؤسسان الأولان ..

كان سعود مسلماً عظيماً ، ووهابياً عظيماً ، ومحارباً عظيماً ، وملكاً عظيماً ، .. على طريقة تلك الأزمان الخالية التي انقطع بها العهد .. )

وقال فيلبي عن سعود في مكان آخر من كتابه :

( كان سعود في الخامسة والعشرين من عمره حين اعتلى عرش الدرعية .

وكان قد اشترك اشتراكاً فعلياً وثيقاً بتصريف امور الدولة خلال خمس عشرة سنة في ظل أبيه ، أي منذ اختياره ولياً للعهد عام ١٧٨٨ م .

أما قيادته للحروب في عهد أبيه « فتنغطي » ستاً وثلاثين سنة ، أي من يوم اشتراكه في المعركة الظافرة ضد قرية العودة ، تحت إمرة ابن عمه هذلول بن فيصل بن محمد عام ١٧٦٧ م .

والحق إن سعود كان في معظم الأوقات القائد الأعلى للجيوش التي جهزها والده عبد العزيز أثناء حكمه الطويل ..

وهكذا كان سعود مؤهلاً تماماً في الحرب والسياسة للنهوض بالأعباء التي ألقيت عليه في إتمام عمل أبيه ..

وقد بلغت الدعوة الوهابية في عهده إلى ذروة إنجازاتها و « توسعاتها » — إن صحّ هذا التعبير .. )

## عرض البريمي :

**كلمة دوان :**

وأورد كتاب «عرض البريمي» الكلمات التالية ، مقتبسة من كتاب « دوان» المسمّى ( محمد علي ) :

« خلف عبد العزيز في منصب الإمام السعودي : ابنه سعود ، الذي كان ساعده الأيمن في الحكم سنوات طويلة ، وفي أثناء حكم سعود الذي دام أكثر من عشر سنوات وصلت الدولة السعودية إلى ذروة مجدها الأول ، وكادت جزيرة العرب كلها تصبح تحت سلطتها ، وفي التاريخ العربي يذكر هذا الحاكم بحق باسم « سعود الكبير » .

وبعد اعتلاء سعود العرش بوقت ليس بطويل كتب باراندييه ، السفير الفرنسي في استانبول ، إلى تاليران يقول :

« إنه في ذلك الوقت أصبح للمرء أن يتوقع رؤية قيام مملكة عربية جديدة

ليست من القوة كتلك التي كانت للخلفاء ، ولكنها قـادرة على أن تظفر بمضي الوقت بدرجة من العظمة تضعها في مستوى واحـــد مع السلطات الاخرى في آسيا » ) .

**كلمة لوريمر :**

وأورد العرض المذكور أيضاً كلمة لوريمر في حكم سعود ، وهي تصح أيضاً في الحكم السعودي في مختلف عهوده ، قال :

( إن اتجاه الحكومة الوهابية في نجد كان في جوهره اتجاه تمدن وحضارة ، وكان من بين أهدافهم الرئيسية التي وضعوها نصب أعينهم إقامة الأمن والنظام وإخماد الحروب المحليـة والمنازعات الشخصية وإحلال عقوبات تفرضها الدولة وتعويضات تمنحها بدلاً من تلك الحروب والمنازعات .. ) .

**مآخـــذ :**

ويأخذ كورانسيز على سعود « بذخه » الذي تجـــلى في لبسه أغلى الملابس واقتنائه لدوره الأثاث الفاخر المجلوب من الهند وغيرها ، ومبالغته في جمع المال والأشياء الثمينة ..

**من كتاب مانجان :**

ويقول مانجان ان سعود جعل رؤساء العرب يخضعون له وكان يتحدى كل زعيم ويحاول إذلاله ، مع معرفته بأن محمد علي كان يستعد لغزو بلاده ..

**الجيش :**

وفي عهد سعود وفتوحاته وغزواته ، كان شعب نجد ، وكذلك سكان جميـع البلاد التابعة لسلطان نجد ، خاضعين لنظام مخصوص من التجنيد «الاجباري».

يقدّر سعود مـا يجب على كل منطقة أن تقدمه ، فيقود رئيس المنطقة هذا العدد المطلوب من المقاتلين الى المكان المحدد له ، ويبقى قائداً لمقاتلة قومه طول مدة الحرب ، فقد كان لكل منطقة جيشها الخاص ، تحت قيادة أميرها ، ومعه إمام وكتبة .

كل محارب يجلب معه أسلحته وذخيرته ومؤنه، والفقير يجهزه الغني ويعينه،

وقد ينوب عن الرجل الذي اضطر الى الاعتذار عن المشاركة في القتال رجل آخر فيجهزه أيضاً ..

لا يعطى المقاتلون رواتب، ما خلا بعض الفرسان ، وتوزع الغنائم بالتساوي بين المحاربين ، ويعزل الخمس ويرسل الى بيت المال .

وكان لمقاتلة الدرعية التقدم على غيرهم .

يأكل المحاربون الوهابيون التمر مع اللبن (الحليب) وقلما يأكلون خبزاً ولحماً.

يتقدم المقاتلون الى ساحة المعركة وهم مشاة ، ويتركون جمالهم وخيلهم خلفهم في حراسة أفراد منهم ، فاذا وجدوا العدو متفوقاً عليهم لجأوا الى مطاياهم .. وإذا انهزم عدوهم تبعوه راكبين لا مشاة ، ولهم في الحروب صيحات وشعارات ، أشهرها : الله أكبر ..

بندقياتهم كانت لها « فتائل » ، وكانوا « يحشونها » بسرعة ، وكثيراً ما يكون معهم الى جانب البندقيات خناجر ورماح وسيوف ، وربما وجد مع بعضهم مسدسات أيضاً ..

ومتى أقاموا معسكراً أو مخيماً عرف كل واحد مكانه : القائد في الوسط ، والفرسان يلتفون حوله ، وكل فرقة تنزل على بعد معقول من الفرقة الاخرى ، ولهم شعار يتعارفون به في الليل ..

تقام الصلوات خمس مرات في النهار، وربما ناموا أثناء النهار ، ليقضوا أكثر الليل في السمر والحديث ..

**من صفات أهل نجد :**

الوهابيون يصبرون على الجوع والعطش ، وقد يقضون يومين كاملين من دون أكل ولا شرب ، فلا يتشكون ..

لباسهم ثوب وعباءة وعلى رؤوسهم « كوفية » ، وقد يلبس بعضهم في الشتاء « شالاً » يجلب من مسقط يدعى : « دشمال » ، وغنيهم يلبس ثوباً من جوخ .

سكان نجد أصحاب مزاج « جاف » ، ولونهم أسمر وشعرهم أسود ، والجباه عريضة ،وقد يتكحلون،ووجوههم في كثرتهم غير مستديرة بل طولانية،

وشفاههم بارزة ، ونظراتهم فيها بعض الزهو والقسوة .. أما نساؤهم فجميلات وربما جعل الحجاب ألوان بشراتهن أقل سمرة ..

يعمّر النجديون كثيراً وبعضهم تتجاوز أعمارهم الثمانين .. تتزوج البنات في سن مبكرة وأحياناً في العاشرة .

**الأمراض والأدوية :**

ليس في نجد أطباء ، والمريض يعالج بالاعراف والتجارب .. وهم يصفون لعسر الهضم والإمساك : ( السنا ) - السنامكي - وللروماتيزما ، أو وجـــع المفاصل: الدلك بشحم الغنم أو الزيت المسخن، وللزحار والمغص : حليب الناقة فإن لم ينفع عمدوا إلى الكيّ ، وهم يستعملون الحجامة والفصد أيضاً وخصوصاً في ( الاستسقاء ) - ايدروبيزى - ويعالجون الجدري بالحميــة وبرشّ الرماد على البثور لتجف ..

أما المجنون فيعالجونه بضربه ، وربما ربطوا يديه ورجليه بالحبـــال .. أو استعانوا برجل يخرج الشيطان من جسده ..

**المنتوجات :**

قدر لنا عمال الاعشار محصولات نجد الزراعية كما يأتي :

| | |
|---|---|
| مليونان ونصف المليون من الصاعات | من القمح |
| مليونا صاع | من الشعير |
| مليون ونصف مليون صاع | من الأرز |
| أكثر من مليون ونصف مليون صاع | من الذرة |
| ربع مليون صاع | من الدخن(الذرة الصغيرة الدخنية) |
| أكثر من عشرة آلاف وزنة | من الزعفران |
| ١٨ مليون وزنة | من التمر |

ويؤخذ من المزارعين عشرة بالمائة من محصولاتهم في الأراضي المروية ونصف العشر في البعلية .

والمكاييل هي : الصاع ، وكل ٩٨ صاعاً تعادل اردباً واحداً مصرياً .

والموازين هي : الرطل ويعادل ١٩٨ درهماً ، والوزنة وتساوي رطلين وثلث الرطل .

**العملة :**

حاجات الأهالي محدودة وعند كثير منهم أكثر ما يستهلكه من ضرورات المعيشة ، ولذلك يقلُّ النقد المتداول بينهم ..

وهم يستعملون الليرات الذهبية العثمانية المضروبة في استانبول ، والقروش الاسبانية ، ومختلف الدنانير الذهبية المضروبة في إيطاليا وهنغاريا ، وغير ذلك من النقود المستعملة في الهند والبصرة ..

## دائرة المعارف الاسلامية

وقالت دائرة المعارف الإسلامية :

( .. بعد أن قام سعود بعدة حملات صغيرة على بغداد وعمان ، صمّم على أن يتخلص من حكم الشريف غالب ، فاحتل المدينة عام ١٢٢٠ واحتل مكة في ذي القعدة من السنة نفسها .

ولما كان الشريف غالب يريد أن لا يذهب ما بقي له من نفوذ ، فقد خضع تمام الخضوع للوهابيين فانتشر المذهب الوهابي في الحجاز .

ولقد رفض الوهابيون السماح لقافلة المحمل الذي أعدّته الحكومة التركية بدخول الأراضي المقدسة ، وأبطل سعود الخطبة للسلطان ، وقال في رسالة رسمية انه ليس على والي دمشق أن يعتنق المذهب الوهابي فحسب ، بل على السلطان نفسه أن يفعل ذلك أيضاً ، ولما رفض صاحب دمشق رفضاً باتاً أن يذعن لمشيئته أجاب سعود بسلب حوران في يوليه عام ١٨١٠ م .

ونظم سعود القرصنة التي كانت تقوم بها القبائل القاطنة على الخليج الفارسي إلى درجة اضطرت معها الحكومة الهندية عام ١٨٠٩ إلى إعداد حملة كبيرة اقتحمت رأس الخيمة في ١٣ نوفمبر من السنة نفسها وقضت على اسطول القرصان.

ولما عجز الباب العالي عن صدّ هجمات الوهابيين على ممتلكاته ناط بمحمد علي باشا والي مصر غزو الحجاز .

وفي أواخر اكتوبر أو أوائل نوفمبر عام ١٨١١م. بدأت الحملة المصرية الاولى بقيادة طوسون باشا غزو ينبع البحر وينبع البر .. ومع ذلك فقد هزم عبدالله وفيصل ابنا سعود طوسون باشا في ممر جديدة الضيق في أثناء تقدمه نحو المدينة في ٧ ذي القعدة عام ١٢٢٦ هـ . وأرغم على التقهقر إلى ينبع ، ولم يتابع حركاته الحربية إلا متأخراً في خريف عام ١٨١٢ فنجح هذه المرة بعض النجاح، وسلمت له المدينة في نوفمبر ومكة في أواخر يناير عام ١٨١٢ واقتحم الطائف بعد ذلك بأيام قليلة .

بيد أن الوهابيين نجحوا في صدّ تقدم المصريين إلى تربة صيف عام ١٨١٣ .

وفي أواخر اغسطس نزل محمد علي بنفسه إلى جدة ، وحاول سعود عبثاً أن يتفاوض معه في الصلح .. )